المقتطف

الجزء التاسع من السنة الحادية والعشرين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٩٧ الموافق ٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٥ هـ

فكتوريا

ملكة الانكليز وامبراطورة الهند

تمهيد

امران يضيق بهما الكاتب ذرعاً قلة المادّة حتى تقصر عن مرامه وكثرتها حتى تزيد عليه. والثاني شأن من يحاول ان يلخّص في صحف قليلة سيرة ملكة عظيمة جلست على سرير الملك ستين عاماً وساست نحو اربع مئة مليون من البشر في مشارق الارض ومغاربها وشدّت ازرها باحكم الوزراء وادهى رجال السياسة فارتقت بلادها في عهدها ارتقاء لا مثيل له في عصر من العصور. فان المادة غزيرة تملأ مجلدات كثيرة ومجال البحث واسع لا يتسنى للمؤرخ اوسع منه. ولكن تلخيصه في صحف قليلة يوقع الكاتب في حيرة فيتردّد بين الاحجام والاقدام. غير ان مناقب هذه الملكة العظيمة وتشوّف المشارقة الى استطلاع اخبارها والوقوف على سر السياسة التي ارتقى بها شعبها هذا الارتقاء النادر المثال وخلو اللغة العربية من كتاب يعرّف فيه تاريخها وانضواء ملايين كثيرة من المتكلمين بها تحت اللواء البريطاني كل ذلك حملنا على استخفاف المشاق والجري في هذه المعتبة

الكؤود فجمعنا الفصول التالية معتمدين على ما كتبهُ مترجمو حياتها وعلى ما طالعناهُ في كثير من المجلات العلميَّة وسنوجز المقال على قدر الامكان

(١)

اصل العائلة المالكة

العائلة المالكة الآن في بلاد الانكليز من اصل المانيّ دمهُ ممتزج بدم ملوك انكلترا وملوك سكتلندا وهي لم تستولِ على البلاد الانكليزيَّة بالفتح بل بحق وراثي خوَّلها اياهُ الشعب البريطاني نفسهُ وبحمايتها لمذهب الاصلاح المعروف بالمذهب البروتستاني فانهُ لم يكد هذا المذهب ينتشر في المانيا حتى بلغ انكلترا ومال اليهِ فريق كبير من اهاليها . ثم توالت على البلاد حوادث قوَّت شأن البروتستانت فيها واتفق ان فرَّ ملكها من وجه شعبهِ فاستدعى الشعب اميرًا المانيًّا ليكون ملكًا عليهم وهو ابن ابنة ملكهم تشارلس الاول وزوج ابنة ملكهم جمس الثاني فملك على البلاد هو وزوجتهُ من سنة ١٦٨٩ الى سنة ١٦٩٤ وتوفيت زوجتهُ فاستقلَّ بالملك ثم توفي سنة ١٧٠٢ فخلفتهُ اخت زوجتهِ وتوفيت سنة ١٧١٤ بلا عقب فاستدعى الشعب الانكليزي الامير جورج لويس امير هنوفر وملَّكوهُ عليهم لانهُ بروتستاني المذهب ونسب امهِ متصل بملكهم جمس الاول فملك على البلاد الانكليزيَّة باسم جورج الاول وتوفي سنة ١٧٢٧ وخلفهُ ابنهُ جورج الثاني فملك ٣٣ سنة وتوفي فجأةً سنة ١٧٦٠ وخلفهُ حفيدهُ جورج الثالث جد الملكة فكتوريا وكان صالحًا محبًّا لشعبهِ فارتقت البلاد في ايامهِ واتسعت تجارتها ووفرت ثروتها ولكنها خسرت الولايات المتحدة الاميركيَّة — خسرتها لتصير بلادًا جمهوريَّة من اغنى جمهوريات الارض واقواها

وتوفي الملك جورج الثالث سنة ١٨٢٠ وكان ابنهُ قد ناب عنهُ في العشر

السنوات الاخيرة من حياته فاستقل بالملك حينئذٍ باسم جورج الرابع وتوفي سنة ١٨٣٠ وكان لهُ ابنة وحيدة بارعة الجمال اسمها تشارلت اقترن بها الامير ليوبولد الالماني اخو الاميرة التي صارت زوجة لامير كنت ووالدة للملكة فكتوريا

(١) الاميرة تشارلت

وكانت الامة الانكليزية معلقة آمالها بالاميرة تشارلت لأدبها وكمالها وجمالها لأن الملك يأول اليها لكنها توفيت سنة ١٨١٧ اي قبل ابيها وجدها فانتقلت ولاية العهد الى اعمامها ومنهم دوق كنت ابو الملكة فكتوريا

(٢)

ابو الملكة وامها

ان ابا الملكة فكتوريا ولقبهُ دوق كنت هو الابن الرابع من ابناء الملك جورج

الثالث . وكان طويل القامة جميل المنظر طلق المحيا ليّن العريكة فصيحاً في الانكليزية والفرنسوية ميّالاً الى حزب الاحرار ولم يكن هذا الحزب مقرّباً الى بلاط ابيهِ فاختار ان يكون جندياً وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ فأُرسل الى هنوفر حيث درس الفنون الحربيّة . وكان المال المقطوع لهُ قليلاً جدًّا لا يقوم بنفقاتهِ فاضطرَّ ان يستدين وعاد الى انكلترا من غير امر ابيهِ فسخط عليهِ واقصاهُ وبعث بهِ الى جبل طارق قائدًا لحاميتهِ وكانت الحامية على غاية من فساد الآداب فلما رأت منهُ اللين والتؤدة تمرَّدت عليهِ فأُرسلت الى كندا باميركا وأُرسل معها الى تلك البلاد فاقام فيها الى سنة ١٧٩٤ وحضر بعض المعارك في جزائر الهند الغربيّة وعاد الى بلاد الانكليز سنة ١٨٠٠ وجُعل حاكماً على جبل طارق وكانت حاميتهُ قد شقَّت عصا الطاعة فرأى ان سبب ذلك السكر فاخمد ثورتها وقاصَّ زعماءها ومنع باعة المسكرات من بيعها فاخلدت الحامية الى السكينة

وكان كريماً مبذالاً فاشترك في اكثر الجمعيّات الخيرية التي كانت في عصرهِ ورأس في سنة واحدة اثنين وسبعين جلسةً من جلساتها . وكان محبًّا للعلم والتعليم وهو اول مَن انشأ مدرسة لتعليم الجنود . ولكرمهِ وبذلهِ وسعيهِ في مصالح الناس كان يُقصَد من كل فجٍّ فلا يخيب طالبًا . قيل انهُ كان عائدًا مرةً من المانيا الى انكلترا فاصابهُ الدوار واشتدَّ عليهِ ورآهُ احد المسافرين على تلك الحالة فقال لاحد خدمهِ قُل لمولاك ان معي دواء يريحهُ من الم الدوار فلما قال لهُ ذلك قال من هذا الرجل الذي همَّهُ امري واراد تخفيف كربي فقيل لهُ هو رجل ذاهب الى انكلترا في طلب الرزق فقال قولوا لهُ ان يوافيني الى قصر الملك بعد وصولهِ . فوافاهُ الى هناك فسعى لهُ في منصب يليق بهِ

هذا من قبيل دوق كنت ابي الملكة فكتوريا اما امها فاسمها فكتوريا ايضاً

وهي ابنة دوق الباني واخت البرنس ليوبولد زوج الاميرة شارلت الذي صار ملكاً لبلاد البلجيك سنة ١٨٣١ . ولدت سنة ١٧٨٦ واقترنت بامير الباني فمات عنها سنة

وراها دوق كنت وهو يفوض عن زوجة فاعجبهُ حسنها ورائع ادبها فاقترن بها في الخامس عشر من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨١٨ وهو موقن ان الملك يصل اليه وينتقل الى نسلهِ لانهُ كان اقوى من اخوتهِ بنيةً واجود منهم صحة ولما علم انها حامل اسرع بها الى البلاد الانكليزيَّة لكي تلد فيها ويكون المولود انكليزيًا

مولداً فولدت لهُ الملكة فكتوريا في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ . وفرح بولادتها فرحاً عظيماً وكان ينظر اليها معجباً ويقول اعتنوا بها فانها ستكون ملكة انكلترا يوماً ما . ولما جاء الشتاء انتقل بها الى سواحل ديفونشير لانها اقل برداً من مدينة لندن فقضى البرد عليهِ وذلك انهُ ذهب يوماً في طريق كثير الثلج وعاد وحذاؤهُ مبلل وفيما هو ذاهب الى غرفتهِ رأى ابنتهُ مع المرضع فوقف يلعب مع الابنة الى ان اصابتهُ قشعريرة من تبلل حذائهِ وبرد رجليهِ وتبع القشعريرة التهاب في رئتيهِ قضى عليهِ في عشرة ايام . فحزنت عليهِ زوجتهُ والبلاد الانكليزية كلها حزناً شديداً . واوصى قبل وفاتهِ ان تكون زوجتهُ وصيةً عَلَى ابنتهِ فقامت بحق الوصاية احسن قيام كما سيجيء . وتركت بلادها واهلها لكي تربي ابنتها في البلاد الانكليزية عَلَى الاخلاق الانكليزية وقد ربتها حتَّى يكون غرضها الاول ان تسلك مع شعبها سلوكاً يجعلهُ امينا لها مقيماً عَلَى ولائها ونجحت في ما توختهُ النجاح التام فشكرتها الامة الانكليزية واحبتها العائلة المالكة ورأت بعينيها نجاح عملها وتوفيق الله لهُ وهذا هو السرور الاكبر

(٣)

حداثة الملكة

ولدت الملكة فكتوريا في قصر كنسنتون بمدينة لندن في الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨١٩ كما تقدَّم وعُمِّدت (نُصِّرت) في الشهر التالي وحضر عمادها عمها الاكبر وكان نائباً عن الملك وعمها الثاني دوق يورك نائباً عن قيصر الروس اسكندر الاول واقترح ان تسمَّى الكسندرينا جيورجينا نسبة الى قيصر الروس وملك الانكليز فاعترض عمها الاكبر عَلَى ذلك وقال لا اريد ان يجعل اسم الملك تالياً لاسم آخر فليُدْعَ اسمها الكسندرينا فكتوريا باسم القيصر واسم

امها فسميت كذلك وغلب عليها اسم فكتوريا وحده وسندعوها باسم الاميرة فكتوريا في ما يلي الى ان تعطى لقب ملكة

وكانت قوية البنية من صغرها فمرّت الايام والاعوام وهي تنمو وتقوى وتزيد جمالاً واعتدالاً على رزانة ودعة ووقار كما شهد الذين رأوها في اطوارها ومرّت عليها مخاطر كثيرة حفظتها العناية منها . كان ولدٌ يرمي العصافير بجانب غرفتها وهي في الشهر السادس من عمرها فمرّ الحرق (الرش) بجانب رأسها تماماً ولكنهُ اخطأها . ولما كان لها اربع سنوات من العمر كانت سائرة في حركة يجرها فرس من الافراس الصغيرة الجد فقلبت المركبة بها وكان احد الجنود حاضراً فاسرع اليها واخرجها من المركبة قبل ان تصل الى الارض فنجاها من الموت وهو لا يعلم من هي فجوزي في الحال بجانب من المال

واحسنت امها ومعلمتها تعليمها وتهذيبها عالمات انها ستكون يوماً ما ملكة على المملكة الانكليزية فقرأت مبادئ العلوم والفنون وتعلمت الالمانية والفرنسوية والايطالية واللاتينية مع آداب اللغة الانكليزية والرسم والموسيقى .

وتوفي عمها الاول الملك جورج الرابع سنة ١٨٣٠ وخلفهُ عمها الثالث وسمي وليم الرابع لان عمها الثاني دوق يورك توفي سنة ١٨٢٧ قبل عمها الاول وكان لعمها وليم الرابع ابنتان فتوفيتا قبلهُ وصارت الاميرة فكتوريا ولية عهده ولم تكن تعلم ذلك لكن معلمتها البارونة لمزن وضعت لها شجرة العائلة المالكة في كتاب تاريخي كانت تدرسهُ فلما رأتها قالت ما هذه الورقة التي لم ارها قبلاً فقالت لها المعلمة لم نرَ انهُ يحسن بك ان تريها الاَّ الآن . ثم امعنت نظرها فيها ففهمت مغزاها وقالت اذاً انا اقرب الى الملك مما كنت اظن فقالت معلمتها نعم . فصمتت ثم قالت ان كثيرين يفتخرون اذا كانوا في مقامي لانهم لا يعلمون مصاعبهُ ففيهِ مجد كثير وفيهِ تعب اكثر . ثم

رفعت يدها وقالت اما انا فسأسير السير الحسن. وقد اتضح لي الآن لماذا تحثينني على الدرس حتى على درس اللغة اللاتينيَّة التي هي اساس اللغة الانكليزيَّة كما قلتِ لي واصل كل التعبيرات البديعة فيها وقد درستها كما طلبتِ مني اما الآن فصرت اعلم سبب ذلك . ثم كررت قولها الاول وهو اني سأسير السير الحسن

(٢) الاميرة فكتوريا في السادسة من عمرها

فقالت لها معلمتها ربما يولد اولاد ايضاً لامرأة عمك الملك فيكون الملك لهم لا لكِ . فقالت ان ذلك لا يغيظني بل يسرُّني لاني اعلم انها تحب الاولاد من محبتها لي

ولما توفيت ابنة عمها كتبت امها الى دوقة كنت ام الاميرة فكتوريا تقول ماتت ابنتاي ولكنَّ ابنتك حيَّة وهي ابنتي . الاَّ ان عمها الملك لم يكن وديعاً مثل زوجتهِ ولا كان بلاطهُ لائقاً باميرة مثل الاميرة فكتوريا فابعدتها امها عنهُ

وذكر كثيرون من الكتَّاب الاميرة فكتوريا في ذلك الحين ووصفوها

بالنباهة والدعة . قال السر ولتر سكوت الشاعر الشهير في يوميته بتاريخ ١٣ مايو سنة ١٨٢٨ " تغدّيت اليوم مع دوقة كنت فرحب بي البرنس ليوبولد (اخوها) وقابلت فكتوريا الصغيرة ولية العهد وقد احسنوا تهذيبها ولم يدعوا احداً من الخدم يهمس في اذنيها قائلاً انك ولية العهد ولكنني [illegible] بانا اذا دخلنا الى اعماق قلبها وجدنا ان حمامة او طائراً آخر من طيور السماء نقل هذا الخبر اليه " . وجاء في سيرة لورد كمل انهُ زار قصر كنسنتون وشاهد الاميرة فكتوريا فوجدها انيسة الحضر على غاية الحشمة والتأدب [illegible]

وكل الذين ذكروها في حداثتها اطنبوا في مدحها واكثرهم لا يحسبون ان ما كتبوهُ يُشيع ويطّلع عليهِ احد لانهم كتبوهُ في يومياتهم او في مكاتيب خصوصية . وقد ظهرت ثمرة تعليمها وتهذيبها في ما ابدتهُ من حسن السياسة وفي حملها الرزايا التي حلّت بها بالصبر الجميل كما سيجيء

وسنة ١٨٣٦ زارها خالها دوق سكس كوبورج مع والديه ارنست والبرت وكأن الغاية من ذلك ان ترى هذين الاميرين لعلها تطلب الاقتران باحدهما ويقال انها احبت البرنس البرت من ذلك الحين فكتبت الى خالها تقول اتوسل اليك يا خالاه ان تهتم بصحة من هو عزيز اليّ وتعتني به اعتناء خاصاً واني اثق ان كل شيء يجري طبق المرام في هذا الامر الذي صار عندي كبير الاهمية

ولم يخبر البرنس البرت بهذا الكتاب ولكن غيرت لورونهُ في المدرسة لكي تناسب البلاد الدستورية التي كانت الآمال معقودة بمجيئهِ اليها [illegible]

وفي الرابع والعشرين من شهر مايو (ايار) سنة ١٨٣٧ بلغت الاميرة فكتوريا سن الرشد حسب شرائع الانكليز وهو الثامنة عشرة لاولياء العهد فاحتفل لذلك احتفالاً عظيماً وجاءتها هدية نفيسة من عمها الملك وكان قد علم انها ستخلفهُ على

سرير الملك وودَّ ان تبلغ سن الرشد قبل وفاته . وبعد ايام قليلة وفد البارون ستكمار من قبل خالها البرنس ليوبولد للغرض الآتي ذكرهُ في فصل تالٍ

(٤)

جلوس الملكة فكتوريا

مرض الملك وليم الرابع بضعة اسابيع وقضى نحبهُ في قصر وندسور في العشرين من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٨٣٧ الساعة الثانية بعد نصف الليل وكان رئيس اساقفة كنتربري عندهُ فقام هو ومركيز كونتهام وطبيب من الاطباء الذين شاهدوا وفاتهُ واسرعوا الى قصر كنسنتون حيث الاميرة فكتوريا فبلغوها الساعة الخامسة صباحاً . وجعلوا يقرعون الباب مدة الى ان استيقظ الحاجب وفتح لهم فطلبوا ان يروا الاميرة فكتوريا ليخبروها بامر هامّ فقال لهم الخدم انها نائمة فقالوا اننا جئناها بامر متعلق بمملكتها فيجب ان تستيقظ لاجلهِ . فنهضت حالاً وطرحت رداءً على كتفيها وقابلتهم على تلك الحالة والدموع ملء عينيها ويقال انهُ لما اخبرها رئيس الاساقفة بوفاة عمها قالت لهُ التمس منك ان تصلي لاجلي فركعوا كلهم وطلبوا العون الالهي

وانتشر نعي الملك في البلاد حالاً واول شيء فعلتهُ الملكة فكتوريا انها كتبت تعزي امرأة عمها وعنونت الكتاب الى جلالة الملكة في قصر وندسور واطلع بعض الحضور على العنوان قبل ارسال الكتاب فقالوا لها انتِ هي الملكة فقالت نعم ولكنني لا اريد ان اكون السابقة الى تذكير امرأة عمي بذلك . وعرضت على امرأة عمها ان تبقى في قصر وندسور فلم ترَ موقعاً لذلك

وبعد بضع ساعات اقبل لورد ملبرن رئيس الوزراء الى قصر كنسنتن لكي يقابل الملكة ويتلقى اوامرها وكان شيخاً واسع الاختبار لين العريكة عارفاً باطوار

الناس عرك الدهر اعواماً كثيرة وخبر ضروب السياسة ولما وقع نظرها عليهِ عرفت بالزكانة التي يمتاز بها نوع النساء انهُ موضع ثقتها ومعتمد سياستها وكانت امها قد علمتها كل ما يتعلق بتاريخ بلادها واحوالها السياسيَّة على ما يوجد في كتب التاريخ والسياسة وارتها واجبات الحاكم الدستوري وكيف يجب ان يتصل مع شعبهِ ووزرائهِ الاَّ ان هذا التعليم كان نظريًّا ولم يبتدئ ان يكون عمليًّا الاَّ حينئذٍ حينما اخذت تشارك وزراءها في سياسة بلادها ولاسيما وزيرها اللورد ملبرن فانهُ كان يحترمها احتراماً يفوق الوصف ويخلص لها النصح ويشرح لها كل المسائل شرحاً واضحاً لا هو بالطويل الممل ولا بالقصير المخل وكان يقيم معها اربع ساعات كل يوم ويخرج معها راكباً ساعتين وهو يخاطبها في شؤون الملك ويشرح لها مشاكلهُ ويفسر غوامضهُ حتى غارت منهُ كثيرون من رجال الدولة حتى منهم الذين يعدُّون مقامهم ارفع من مقامهِ وعجب اصدقاؤهُ من صبرهِ ونشاطهِ مع انهُ كان محباً للراحة كارهاً للتعب ولم يكن لهُ غرض من اهتمامهِ بشؤون الملكة الى هذا الحد الاَّ القيام بما شعر انهُ واجب عليهِ نحو وطنهِ وامتهِ

وجاء ايضاً عما ذوق كمبرلند ودوق سسكس وريتشارد الابن وغيرهم من رجال الدولة ولما كان عددهم كثيراً ورأى احدهم ان يتقدم الى الملكة فتخبر الملكة بما تمَّ فكان كذلك واجتمع المجلس الخاص وخرجت اللجنة من حضرة الملكة ومعها المنشور التالي ذكرها فتلي على الحضور وهو

ان الخسارة الفادحة التي اصابت الامة بوفاة جلالة عمي الملكة قيدتني بواجبات الاهتمام بحكومة هذه السلطنة . وقد أُلقيت عليَّ هذه الواجبات فجأة على صغر سني ولولا اعتقادي ان العناية الالهيَّة التي دعتني الى هذا المنصب تؤيدني في القيام بما يطلب مني ولولا اني اجد من نبالة مقاصدي وغيرتي على

خير شعبي العضد الذي يرافق الشيخوخة وطول الخبرة لرزحت تحت هذا العبء. واني التي اتكالي على حكمة العناية الالهيَّة وعلى ولاء شعبي وحبهِ لي. ولقد كان من نصيبي ان اخلف ملكاً احبهُ شعبهُ واحترمهُ لانهُ كان محافظاً دائماً على ما لشعبهِ من الحقوق والحريَّة ولان اقصى مرامهِ كان ترقية البلاد واصلاح قوانينها. واني ربيت في البلاد الانكليزيَّة ربتني امي بما يعهد فيها من الحنو والذكاء وهي اشد الامهات حباً وتعلمتُ من حداثتي ان احترم قوانين بلادي واحبها. ويكون غرضي الدائم ان احفظ الاحتفاظ التام بالديانة المصلحة التي قررتها الشرائع مذهباً لهذه البلاد. مبيحة لكل احد الحريَّة الدينيَّة. واحمي حقوق كل رعاياي وازيد راحتهم ورفاهتهم بكل جهدي "

وقد مرَّت سبعون سنة منذ نطقت بهذه الوعود والعهود وكل سنة منها تشهد بانها اقامت بعهودها ولم تخلف وعداً من وعودها والسماء والارض وامم المشرق والمغرب تزكي هذه الشهادة. ومَن لا يزكيها وهو يرى بلاد الانكليز ملجأً لكل مضطهد لسبب ديني او سياسي ورايات النجح والفلاح تخفق في البلاد الانكليزيَّة في كل القارات والجزائر في مشارق الارض ومغاربها

وفيما كان الجرس الكبير في كنيسة مار بولس يدق دقة الحزن على الملك كان رجال السلطنة ومشيرو الدولة يفدون الى قصر كنسنتون لمبايعة الملكة ولما انتظم عقدهم دخلت عليهم الملكة بثياب الحداد فاستقبلها عمّاها وركعا امامها وبايعاها الملك واقسما لها يمين الطاعة فاحمرَّ وجهها خجلاً كأنها استغربت الفرق الشاسع بين علائق الناس النسبيَّة والسياسيَّة ثم دنا بقية رجال الدولة وركعوا امامها بحسب طبقاتهم وقبَّلوا يدها فقابلتهم وهي على تمام الرصانة والهدو كأنها أُلفت ذلك منذ حداثتها. قال السر روبرت بيل الوزير الشهير انهُ كانت تلوح

على وجهها امارات من يعرف ثقل مهام الملك فيهابها ولكنهُ لا يجزع منها

وهذه ترجمة البيعة التي تليت حينئذٍ

لقد شاءت العزّة الالهية ان تتوفّى الى رحمتها ملكنا وسيدنا ومولانا الملك وليم الرابع السعيد الذكر الذي بوفاته آل تاج الممالك المتحدة ممالك بريطانيا العظمى وارلندا الى الاميرة العظيمة السامية الكسندرينا فكتوريا مع حفظ حق من يولد للملكنا وليم الرابع المتوفّى بعد وفاته فنحن امراء هذه المملكة الروحيين والزمنيين المجتمعين في هذا المكان مع الذين من مجلس ملكنا المتوفّى الخاص وغيرهم من السادة وذوي المقامات ومحافظ لندن وسكانها نعترف ونعلن بصوت واحد واتفاق اللسان والقلب ان الاميرة السامية القديرة الكسندرينا فكتوريا قد صارت الآن بموت ملكنا السعيد الذكر ملكتنا الوحيدة الشرعيّة بنعمة الله ملكة الممالك المتحدة بريطانيا العظمى وارلندا فنحامي الايمان التي لها نعترف بالولاء التام والطاعة الدائمة بالحب والخضوع ونسأل الله الذي منهُ الملوك والملكات ينالون الملك ان يبارك الاميرة فكتوريا لتملك علينا سنين كثيرة سعيدة

وكان دوق ولنتون القائد الشهير والسر روبرت پيل الوزير الكبير بين الحضور الذين بايعوها واقسموا يمين الطاعة خارجا مدهوشين مما شاهداه من عزّة نفسها ووقار مجلسها وقال اللورد كمبل " لقد ابهجني سلوك هذه الملكة الفتية فانني لم اشاهد شيئاً اوقع في النفوس مما شاهدتهُ منها — حشمة ودعة واحتراس وحذر ومهابة ووقار وشمم وعزّة نفس "

ونودي بها ملكة في اليوم التالي وهو الحادي والعشرون من شهر يونيو (حزيران) في قصر سنت جمس باحتفال عظيم وسرّ شعبها بذلك وحيوها بالغناء والتهليل ولما رأت شدة حبهم وولائهم فاضت عينيها العبرات. وقد اشارت الى ذلك اليصابات

برونن الشاعرة الانكليزية حيث قالت ما معناهُ

سلام الله يا من قد تولّتْ ودمع العين هطّال هتونُ
سلام الله يملأُ منكِ قلبًا وديعًا لا تخامرهُ الظنونُ
وحين تغادرين العرش طوعًا لمن في امرهِ كافٌ ونونُ
تتوّجكِ الملائكُ تاجَ مجدٍ ولا دَمْعٌ هناك ولا شجونُ

ودهش رجال السياسة المحنكون مما كان يبدو على الملكة من دلائل الذكاء والحزم مع الوقار والدعة فقالوا ان في نفسها جوهرًا مكنونًا تظهرهُ الايام وتجلوهُ التجارب. ومرّت الايام وهي تلتفت الى كل امر من الامور وتقوم الساعة الثامنة صباحًا وتأكل الغداء في غرفتها ثم تقرأ المراسلات السياسية وتنظر في مهام المملكة المعروضة عليها الى الساعة الحادية عشرة فيأتيها الوزير ملبرن حينئذٍ وينظر معها في الاشغال الى الساعة الثانية بعد الظهر فتركب جوادها وتخرج بموكب كبير والوزير ملبرن معها وتبقى في النزهة ساعتين وتعود الساعة الرابعة وتقيم الى الساعة السابعة تسلى بالموسيقى والغناء والرياضة وتجلس للعشاء الساعة الثامنة فيتقدمها رجال بلاطها وتتلوها امها والسيدات اللواتي عندها وتأخذ يد اعلى الحضور مقامًا وتدخل غرفة المائدة وتجلس في صدرها وتورد ملبرن عن يسارها ثم تقابل الحضور بعد العشاء في غرفة الاستقبال وتكلم كلاًّ منهم وتقيم معهم الى الساعة الحادية عشرة وتنام بين الساعة الحادية عشرة والثانية عشرة وجرت على ذلك اكثر ايام حياتها

وبعد ستة ايام من المناداة بها ملكة على المملكة الانكليزية جاءها كتاب من ابن خالها البرنس البرت يقول فيهِ "الآن انتِ ملكة على أقوى مملكة في اوربا وفي يديك سعادة ملايين من الناس. اسأل الله ان يعضدكِ ويقوّيكِ بقوته لكي تقومي بمهام الملك. وارجو ان تكون سنو ملكك طويلة سعيدة مجيدة وان

تجازي على سعيك بشكر شعبك وحبهم لكِ "

وكان مجلس الوزراء قد رفع اليها ختوم مناصبهِ بعد اجتماع المجلس الخاص على جاري العادة فردتها اليهِ اي انها ثبتت الوزراء في مناصبهم

وبقيت في قصر كنسنتون مع امها ولكنها اقامت في قسم خاص منهُ لكي لا يقال ان امها تتعرَّض لشؤون الملك . وبقيت البارونة لهرن معها دائماً لا تفارقها الاَّ حينما يأتي الوزراء ليعرضوا عليها مهام المملكة . وكانت تنظر في كل المسائل بالتروي ولا تبتُّ حكماً قبل اعمال النظر فيهِ . وكان اللورد ملبرن كبير الوزراء حينئذٍ قد اختار لها السيدات اللواتي يقمن على خدمتها فلم تعارضهُ في ذلك ولكنها اختارت ايضاً من عندها البارونة لهرن لتكون كاتمة لاسرارها ومعلمتها مس دافس لتكون من خادمات الشرف وجعلت ابا الدكتور دافس مطراناً على بتربرو . وكانت تحكم في بيتها بسلطة ووداعة . قيل ان خادمة من خادمات الشرف تأخرت عن الحضور ثلاث مرات . وفي المرة الثالثة رأت الملكة قائمة في انتظارها وساعتها في يدها فانتبهت لذلك وقالت لعلي تأخرتُ عن جلالتك . فقالت الملكة نعم عشر دقائق . فاحمرَّت هذه خجلاً وجعلت يداها ترتعشان واستأذنت الملكة منها ذلك فرأفت عليها وساعدتها في اصلاح ردائها وهي تقول سنصطلح كلنا ان شاء الله ونقوم بواجباتنا

وفي الثالث عشر من يوليو (تموز) انتقلت بحاشيتها الى قصر بكنهام المرسوم على الصفحة التالية وهو في مدينة لندن يحيط بهِ جنات يانعة مساحتها خمسون فدانا فيها بحيرة مساحتها عشرة افدنة وجعلت بلاطها فيهِ . وفي السابع عشر من الشهر ذهبت بنفسها الى البارلمنت وحلتهُ وجرت الانتخابات العمومية لمجلس النواب في شهر اغسطس (اب) وكانت ميالة الى حزب الاحرار لان ابا لها كان ميالاً اليهِ

وفتحت البارلمنت الاول في ٢٠ نوفمبر (ت ٢) . فجعل راتبها ٣٨٥٠٠٠ جنيه

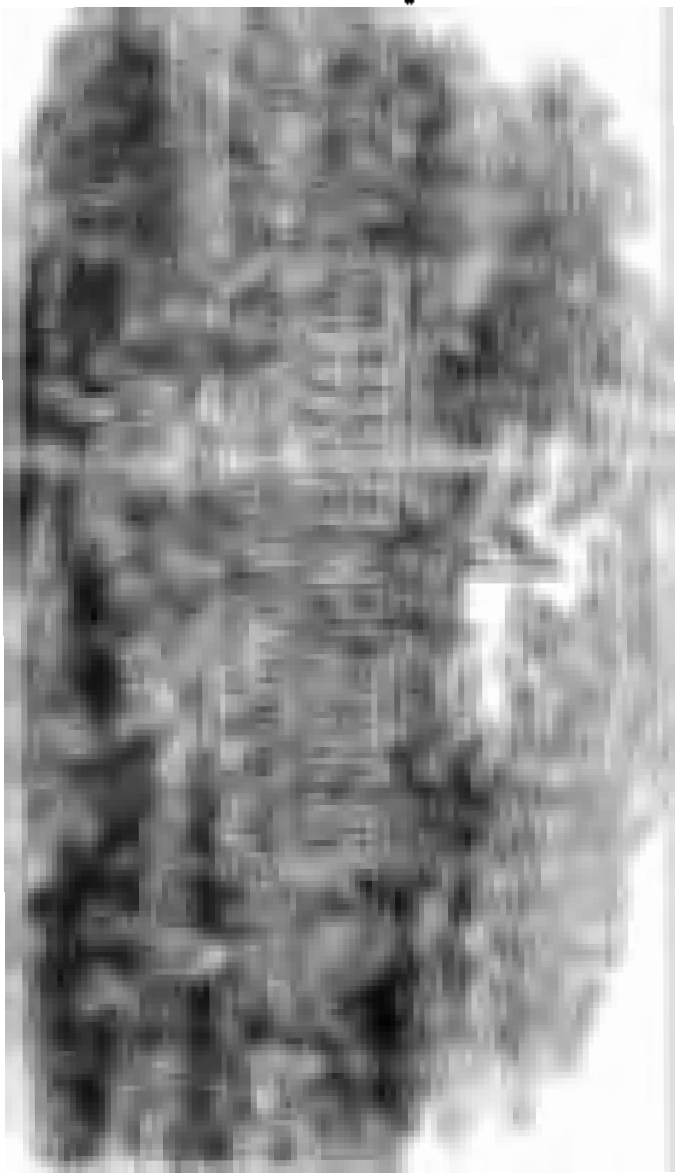

في السنة وراتب ابنها ٣٠٠٠٠ جنيه . واخذت البلاد تستعد للاحتفال بتتويجه على ما سيجيء في الفصل التالي